﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ [الشّورى: 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لَمّا ذكَرَ اللّه تعالى دَلائِلَ التَّوحيدِ؛ أردَفَها بالتَّنفيرِ عن الدُّنيا، وتَحقيرِ شَأنِها؛ لأنَّ الَّذي يَمنَعُ مِن قَبولِ الدَّليلِ إنَّما هو الرَّغبةُ في الدُّنيا؛ بسَبَبِ الرِّياسةِ، وطَلَبِ الجاه، فإذا صَغُرَتِ الدُّنيا في عيْنِ الرَّجُلِ؛ لم يَلتَفِتْ إليها، فحينَئذٍ ينتَفِعُ بذِكرِ الدَّلائِلِ[1].

ما يمنعُ من قَبولِ الدَّليلِ إنَّما هو الرَّغبةُ في الدُّنيا

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَمَتَٰعُ﴾: المتاعُ: كلُّ شَيءٍ يُنتفَعُ به، ويُتبلَّغُ به، ويُتزوَّد، والفناءُ يَأتي عليه في الدُّنيا، والجَمْعُ أمتِعَةٌ[2]، والمقصود بالمتاع في الآيةِ: ما يُنتفَعُ به زَمَنًا ثمَّ يَزولُ[3].

3) ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: أصلُ (وكل) يدلُّ على اعتمادِ غيرِك في أمرِكَ، وهو إظهارُ العَجْزِ في الأمرِ والاعتمادُ على غَيْرِكَ، وسُمِّيَ الوكيلُ وكيلًا؛ لأنَّهُ يوكَلُ إليهِ الأمرُ[4]، ومعنى التَّوكُّل هنا: إفرادُ للّهِ بالتَّوَجُّهِ إليهِ في كُلِّ ما تَعجِزُ عَنهُ قُدرَةُ العَبدِ؛ فَإنَّ التَّوَجُّهَ إلى غَيْرِهِ في ذَلِكَ يُنافي التَّوحيدَ[5]، فهُم يَكِلونَ أمورَهم إلى ربِّهم، هو مَفْزَعُهم ومعتَمَدُهم، فلا ملجأ لهم من اللّهِ إلّا إليه، ولا ضارَّ ولا نافعَ سواه[6].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 603.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (متع).
(3) الصّاوي، حاشية على الجلالين، ص: 1724.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (وكل).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 109.
(6) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 132، والصّاوي، حاشية على الجلالين، ص: 1724.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حَقيقةُ الدُّنيا ومتاعُها بالنِّسبةِ للآخِرةِ، والمنهجُ القويم للفوزِ بأجرها

يقولُ تعالى مُبيِّنًا حَقيقةَ الدُّنيا ومتاعَها بالنِّسبةِ للآخِرةِ، والمنهجَ القويم للفوز بأجر الآخرة: فما أوتيتُم أيُّها النّاس، أو المشركون مِن شَيءٍ في الدُّنيا، فإنَّما هو مَتاعٌ زائلٌ تتمَتَّعونَ به في حَياتِكم الدُّنيا، وما عِندَ اللهِ مِن الثَّوابِ والجَزاءِ في الآخِرةِ خَيرٌ مِن مَتاعِ الدُّنيا، وأدوَمُ للَّذين آمَنوا بما وجَب عليهم الإيمانُ به، ويَعتَمِدونَ على رَبِّهم وحْدَه، ويُفَوِّضونَ إليه جَميعَ أُمورِهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاء ودلالتُها في: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾:

تفريعيٌّ يحملُ تذكيرًا بأنَّ النِّعمةَ الدُّنيويَّةَ نِعمةٌ قَصيرةُ الزَّمانِ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ تفريعيَّةٌ، فرَّعتِ الآيةَ على جُملةِ: ﴿*وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ﴾ [الشّورى: 27] إلى آخِرِها؛ فإنَّها اقتَضَتْ وُجودَ مُنعَم عليه ومَحروم، فذُكِّروا بأنَّ ما أوتوهُ مِن رِزقٍ هو عَرَضٌ زائلٌ، وأنَّ الخيرَ في الثَّوابِ الَّذي ادَّخَرَه اللهُ للمؤمنينَ، مع المناسَبةِ لِما سبَقَه من قولِه: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ مِن سَلامةِ النّاسِ مِن كَثيرٍ مِن أهوالِ الأسفارِ البَحريَّةِ؛ فإنَّ تلك السَّلامةَ نِعمةٌ مِن نِعَمِ الدُّنيا، فذُكِّرتْ عليه الذِّكرى بأنَّ تلك النِّعمةَ الدُّنيويَّةَ نِعمةٌ قَصيرةُ الزَّمانِ، صائرةٌ إلى الزَّوالِ، فلا يَجعَلُها الموفَّقُ غايةَ سَعْيِه، وليَسْعَ لِعَملِ الآخِرةِ الَّذي يأتي بالنَّعيمِ العَظيمِ الدّائمِ، وهو النَّعيمُ الَّذي ادَّخَرَه اللهُ عِندَه لِعِبادِه المؤمنينَ الصّالحينَ[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(ما) في: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ﴾ موصولةٌ ضُمِّنَتْ معنى الشَّرط، وهو مُجرَّدُ ملازمةِ الخبر لمدلول اسم الموصول، ولذلك اقترنَ جوابُها بالفاء، ولا تُعَدُّ هنا شرطيَّةً؛ لأنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 109.

المعنى على الإخبار لا على التَّعليق، وفي الموصوليَّة إفادةٌ للعموم، أي:كلُّ ما أوتيتموه من شيءٍ فهو متاعٌ زائل[1]، ولفتٌ وتنبيهٌ إلى ما سيأتي بعد هذا الخطاب، وأنَّه من الأمورِ المهمَّة الَّتي يجب ألّا تغيبَ عن قلوبِ المؤمنين، وذلك بما تتضمَّنُه (ما) من الإبهام الَّذي يستدعي التَّشويق، أو هي شرطيَّةٌ في محلِّ رفع مبتدأ، وقوله: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، تقديره: (هو)، أي: فهو متاع[2]، وهي جملةُ جوابِ الشَّرط، وفي الشَّرطية إفادةُ اقترانِ الزَّوال والفناءِ بكلِّ ما أوتيتموه.

في الموصوليَّة إفادةٌ لعموم زوالِ ما أوتوا من متاعِ الدُّنيا، وفي الشَّرطيَّة لزومُ زوالِه

إيثارُ التَّعبيرِ بالإيتاء، ودلالةُ بناء الفعل ﴿أُوتِيتُم﴾ لِما لم يُسَمَّ فاعلُه:

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظ الإيتاء دونَ الإعطاء؛ للمبالغة في بيانِ عدمِ قيمةِ كلِّ ما يُؤتاه الإنسانُ من متاعِ الحياة القريبة الدَّنيئة الَّتي لا نفعَ فيه لأحدٍ إلّا مدَّةَ حياته؛ إذ إنَّ الإيتاء عطاءٌ من دون تملُّك، ويمكن أن يُنزعَ، أو يُستردَّ، ويشمل الأمورَ المعنويَّة والماديَّة، ولم يأتِ البيانُ القرآنيُّ بفاعل ﴿أُوتِيتُم﴾ لشُهرته؛ إذ لا مُؤتٍ غيرُه سبحانه، ولتنزيهه وبيانِ جلالِه بأنَّ كلَّ ما أوتيتموه من متاعِ الدُّنيا لا يساوي عند الله شيئًا، ولذا لم ينسبه لنفسه، ولتحقيرِ مُتَعِ الدُّنيا في نفوسِ المخاطَبين بعدم ذِكرِ مُعطيها سبحانه، وكذلك لفتُ الانتباه إلى ما سيأتي بعد هذا الخطاب، وأنَّه من الأمورِ المُهمَّة الَّتي يجبُ ألّا تغيبَ عن قلوبِ المؤمنين.

لفتُ الانتباهِ إلى أنَّ كلَّ ما أوتيَه الإنسانُ في الدُّنيا متاعٌ زائل

مرجعُ ضميرِ الخطاب ودلالتُه في: ﴿أُوتِيتُم﴾:

الخطابُ في قولِه: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ للمشركينَ؛ جرْيًا على نَسَقِ الخِطابِ السّابِقِ، ويَنسَحِبُ الحُكمُ على المؤمنينَ بلَحنِ الخِطاب[3]،

خطابٌ موجَّهٌ لجميعِ النّاس بأنَّ متاعَ الدُّنيا زائل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 109.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 326، وابن عثيمين، تفسير سورة الشّورى، ص: 272.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 35، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 109.

ويجوزُ أن يكونَ الخِطابُ للنّاس مطلقًا، أي: فما أوتيتم أيُّها النّاس من النِّعم الظّاهرة[1].

معنى ﴿مِّن﴾ ودلالتُها في: ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾:

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ بيانيَّةٌ، سواءٌ كانت (ما) شرطيَّة أم موصوليَّة؛ لِما في الموصولِ واسمِ الشَّرطِ مِنَ الإبهامِ، وهي لبيانِ الجنس وعمومِه[2]، والمعنى: ما أوتيتُم من شيء أيِّ شيءٍ في حياتكم الدُّنيا، فما هو إلّا متاعٌ قليلٌ حقيرٌ من أمتعتها الفانية بالنِّسبة؛ لِما عند الله في الآخرة، ويمكن أن تكون صلةً؛ لتوكيدِ عمومِ ﴿شَيۡءٖ﴾؛ فإنَّها نكرةٌ في سياقِ النَّفي، ودخولُ ﴿مِّن﴾ عليها يزيدها في التَّعميم؛ لتشملَ كلَّ ما أوتوه من متاع الدُّنيا من الأمور المادّيَّة والمعنويَّة من كلِّ ما يرغبونَ، ويتنافسونَ فيهِ.

بيانُ أنَّ كلَّ شيء أوتيه الإنسان في الدُّنيا متاعٌ زائل

معنى الفاءِ ودلالتُها في: ﴿فَمَتَٰعُ﴾:

(الفاء) في قوله: ﴿فَمَتَٰعُ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ، سواءٌ كانت (ما) شرطيَّةً أم موصوليَّةً تضمَّنت معنى الشَّرط، من حيثُ إنَّ إيتاءَ ما أوتوا سببٌ للتَّمتُّعِ به في الحياة الدُّنيا، ممّا أدّى لدخول الفاء في جوابها[3].

إيتاءُ ما أوتي الإنسانُ سببٌ للتَّمتُّعِ به في الحياة الدُّنيا

سرُّ التَّعبير بالمتاع، والغرض من إضافته للدُّنيا في: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾:

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ المتاع في قوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ دون النَّعيم؛ تَنبيهًا على قِلَّته وحَقارته وخساسته وفنائه، فهو شيءٌ شأنُه أن يُتمتَّع، ويُتلذَّذ به، ويُتبلَّغ به، ويُتزوَّد أيامًا قلائل، ثمَّ إلى فناءٍ وزوال[4]، ولأنَّ الحِسَّ شاهِدٌ بأنَّ كُلَّ ما يَتعلَّقُ بالدُّنيا، فإنَّه يكونُ سَريعَ الانقِراضِ والانقِضاءِ[5]، وفي إضافة

متاعُ الدُّنيا قليلٌ وحقيرٌ، وشأنه الفناءُ والزَّوالُ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 544، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 326.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 45.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 34.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 21/ 244.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 603.

المتاع إلى الحياة الدُّنيا مبالغةٌ في بيانِ حقارةِ هذا المتاع وسرعةِ انقراضِه، بأن جعله من الدُّنيا الفانية؛ لأنَّه يُبيِّن أنَّه لا يعودُ نفعُه إلى غيرها، فهو إلى زوال[1]، وهو مع ذلك محشوٌّ بالمُنغِّصاتِ، وممزوجٌ بالغُصص[2]، وذلك جديرٌ بالإعراضِ عنه، وعمّا يُسبِّبه من الأعمال إلّا ما يُقرِّب إلى اللّه[3]، وبهذا لا ينبغي أن يُؤثِّر الفاني على خساسته على الباقي مع نفاسته.

معنى الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾:

العقلُ يقتضي ترجيحَ الخيرِ الباقي على الخسيسِ الفاني

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، والمعنى: والَّذي أوتيتم، فهو متاعُ الحياة الدُّنيا، والَّذي عند اللّه خير وأبقى[4]، وفي هذا الجمعِ زيادةُ بيانٍ بأنَّ مطالبَ الدُّنيا خسيسةٌ منقرضة؛ لأنَّ كلمة ﴿خَيۡرٞ﴾ دليلٌ على أنَّ متاعَ الدُّنيا مليءٌ بالمُنغِّصات، وكلمةُ (أبقى) دليلٌ على اضمحلاله وزواله، وصريحُ العقل يقتضي ترجيحَ الخير الباقي على الخسيسِ الفاني[5].

الغرضُ من التَّعبير بالاسم الموصول (ما):

إبهامٌ في ثوابِ ما عندَ اللهِ مُشعِرٌ بعظمته ومُشوِّقٌ إليه

عبَّر البيانُ الحكيم بالاسم الموصول (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾؛ للإشارةِ إلى وجهِ بناء الخبر، وهو كونه عند اللّه؛ توصُّلًا إلى تعظيمه وتفخيمه، والتَّشويق إليه؛ لِما في (ما) من الإبهامِ المُشعِر بأنَّه أمرٌ مَهولٌ.

دلالةُ التَّعبير بالظَّرفيَّة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾، وسرُّ الإضافة:

عنديَّةٌ إلَهيَّةٌ تُنبِئُ بالعظمةِ والفخامةِ

﴿عِندَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ ظرفُ مكانٍ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 40.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 759.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 326.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 25/ 327.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 603.

متعلِّقٌ بمحذوف، لا محلَّ له من الإعراب؛ لأنَّه صلة لـ (ما)، و﴿خَيْرٌ﴾ خبرُها[1]، وهو مجازٌ، واستعمالُها دونَ (لدى) أنسبُ للسّياق الَّذي يتحدَّثُ عن الثَّواب الأُخرويِّ؛ إذ تُستخدمُ (عند) في اللُّغة عن شيء في حوزتك، سواءٌ كان حاضرًا أم غائبًا، بخلاف (لدى) فإنَّها لا تُستخدم إلّا للشَّيء الحاضر[2]، وفي إضافته إلى الاسمِ الجامع لكلِّ صفاتِ الجلال والجمال والكمال والمُلْكِ الأعظم المحيطِ بكلِّ شيء قدرةً وعِلمًا، من نِعَم الدّارين ما يستوجبُ أن يكونَ الثَّوابُ عظيمًا[3]، فالثَّوابُ من العظيم لا يكون إلّا جليلًا عظيمًا، كما أنَّ الإضافة تُفيدُ الاختصاصَ، أي: هو المُختصُّ به، فالثَّوابُ الأُخرويُّ مختصٌّ باللّه، ولا يكون من غيره سبحانه، كما تقول: عندي ما تريد، تقصدُ اختَصصتُكَ به.

دلالةُ التَّعبير بالخيريَّة في لفظ: ﴿خَيْرٌ﴾، والغرض من التَّنكير:

في الاشتقاقِ من الخيريَّة مزيدُ تفخيمٍ وتعظيمٍ لهذا الثَّواب الأُخرويِّ

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظ ﴿خَيْرٌ﴾ دون غيره كـ (أفضل وأنفع)، في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؛ لكون لفظ الخير أوسعَ دلالةً؛ إذ هي كلمةٌ جامعةٌ للمَرغوب فيه، كالعقل والعدلِ والفضلِ والشَّيء النّافع[4]، وفي هذا مزيدُ تفخيم وتعظيم لهذا الثَّواب الأخرويِّ، ومجيءُ ﴿خَيْرٌ﴾ مُنكَّرًا للتَّعظيم والتَّفخيم؛ لتجتمعَ في التَّعبير العظَمةُ والفخامةُ من خلال جملة الصِّلة والاشتقاق من الخيريَّة ومجيئه منكَّرًا.

معنى الواو ودلالتُها في: ﴿وَأَبْقَىٰ﴾:

الجمعُ بين الخيريَّةِ والبقاءِ، مُؤذنٌ بكمالِ الثَّواب

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ عاطفةٌ، والمعطوف عليه ﴿خَيْرٌ﴾، وبالجمع بين البقاء والخيريَّة يتحقَّقُ كمالُ ثوابِ الآخرة، فالخيريَّةُ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 42.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والفيوميّ، المصباح المنير: (لدن).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 327.
(4) الرّاغب، المفردات: (خير).

للجَوْدة واللَّذَّة والحُسْن، والأبقى للزَّمان، أي: جمعَ بين كونه هو خَيْرٌ ذاتًا لخلوصِ نفعِه، وأبقى زمانًا؛ إذ لا يَزولُ، ولا يَفْنى[1].

دلالةُ التَّعبير بـ (أفعل) التَّفضيل في: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾:

عبَّر القرآنُ بلفظ ﴿خَيْرٌ﴾ ولفظ (أبقى)، وهما من أسماءِ التَّفضيل؛ ليُنبِّه على أنَّ كلَّ شيء أوتيَه الإنسانُ من متاعِ الحياة الدُّنيا مهما كان ثمينًا أو ذا قيمةٍ، أو مهما بقي مصاحبًا للإنسان لمُدَّةٍ وإن طالت، فإنَّ ما عند اللهِ من الثَّواب هو خيرٌ منه في الكمالِ واللَّذَّةِ والحُسْن، وأبقى منه في الدَّوام والاستمرار وعدمِ الانقطاع، وبهذا تظهر المقابلةُ والبَونُ الشّاسعُ بين متاعِ الدُّنيا الزّائل، ونعيم الآخرة الباقي كمًّا وكيفًا وزمانًا.

تفوُّقُ نعيمِ الآخرة الباقي على متاعِ الدُّنيا الزّائلِ كمًّا وكيفًا وزمانًا

دلالةُ عدمِ ذِكْر المُفضَّل عليه في: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾:

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ اسما تفضيلٍ حُذِف متعلَّقُهما، وهو المُفضَّل عليه؛ للعِلم به ولدلالةِ ما قبلَه عليه، والتَّقدير: وما عند الله خيرٌ وأبقى ممّا يتقلَّبُ فيه الكفّار من متاعِ الدُّنيا الخسيس الزّائل، ولإفادةِ العموم؛ فإنَّ حذف المتعلِّق مُؤذنٌ بالعموم، والتَّقدير: وما عند الله خيرٌ وأبقى من كلِّ شيء، قد يُظَنُّ أنَّ فيه خيرًا وبقاءً، ولا تعارضَ بين التَّقديرين؛ لأنَّ الأوَّل من أفرادِ الثّاني.

ما عندَ اللهِ من الثَّوابِ خيرٌ وأبقى من كلِّ شيء

سرُّ عدمِ ذِكر الآخرة في مقابلة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾:

لم يأتِ البيانُ القرآنيُّ بذِكْرِ الآخرة في مقابلةِ الحياة الدُّنيا، واكتفى بقوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ لكون ما عند اللهِ أعظمَ من أن يُحْصرَ في مفهوم الآخرة فقط، فما عند الله يشملُ كلَّ ما عدا المتاع الدُّنيا، فيشملُ رضوانَ الله، والنَّعيمَ المقيم، والفضلَ الإلهيَّ غيرَ المحدودِ.

ما عندَ اللهِ أعظمُ من أنْ يُحصرَ، وأجلُّ من أن يُسَمّى، ويوصفَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 34.

معنى اللّام، ودلالتُها في: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

التَّكرمةُ والأفضليَّةُ لأهلِ الإيمان لا لغيرهم

اللّامُ الدّاخلة على الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، إمّا أن تكون للبيان، أي: أعني للَّذين آمنوا، فهُم من لهم هذه النِّعمة[1]، وإمّا أن تُفيدَ الاختصاص، فهي للمؤمنين لا لغيرهم من الكفرة، وفي هذا تعريضٌ بالمشركين المُكذِّبين بالبعث، بأنَّهم محرومون ممّا عند الله من النَّعيم، وفي هذا التَّعريض تأييسٌ لهم.

الغرضُ من التَّعبيرِ باسْم الموصول وصلتِه في: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

الإيمانُ هو عِلَّةُ الاستحاقِ لِما عند الله من الثَّوابِ العظيم

التَّعريفُ بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ دون الاسم الظّاهر؛ إذ لم يقل: (خيرٌ وأبقى للمؤمنين)؛ مُؤْذِنٌ بعِلَّة استحاقِ المؤمنين لهذا الثَّواب العظيم والنَّفيس، وهي تحقُّقُهم بالإيمان بالله، وتوكُّلُهم على الَّذي لم يَرَوا إحسانًا قطُّ إلّا منه وحدَه، بما ربّاهم من الإخلاص له[2]، ومُفيدٌ تعظيمَ شأنِ هؤلاء المؤمنين؛ لِما في الاسم الموصول ﴿لِلَّذِينَ﴾ من الإبهام المُشعِر بذلك، ودالٌّ على العموم، فما عند الله من الثَّواب خيرٌ وأبقى لكلِّ المؤمنين المتوكِّلين على الله وحدَه.

دلالةُ التَّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾:

استحقاقُ ثوابِ اللهِ العظيم لمن تحقَّقَ منه الإيمان

استلزمَ استعمالُ الاسم الموصول ﴿لِلَّذِينَ﴾ أن يأتيَ بالفعل الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّقِ الإيمان ممَّن يستحقّون الثَّوابَ العظيم الَّذي وعدَ اللهُ به، ولأنَّ الإيمانَ سابقٌ في الوجود لِما جاء بعدَه، وهو التَّوكُّل.

معنى الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ للعطف على جملة الصِّلة، أي: عليه دونَ غيرِه، وهذا التَّوكُّلُ إفرادٌ للهِ بالتَّوَجُّهِ إليه في كلِّ ما

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 4/ 601.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 46، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 328.

تَعجز عنه قُدرةُ العبْدِ، فإنَّ التَّوجُّهَ إلى غيرِه في ذلك يُنافي التَّوحيدَ، وجاء العطفُ على الصِّلةِ، ولم يُؤتَ معه باسمٍ مَوصولٍ، بخِلافِ ما ورَدَ بعْدَه؛ لأنَّ التَّوكُّل متمِّمٌ للإيمان، فكلاهما شيءٌ واحد، ولا غنى لأحدهما عن الآخر[1]، فقد جمعَ بهذا العطف بين صفتين تنفيان الشِّركَ الأكبر والشِّركَ الخفيَّ الدَّقيق الَّذي لا يُرَى، كالرِّياء والاتِّكال على غير اللّٰه.

التَّـوكُّـلُ على اللـه متـمِّـمٌ لـلإيـمـان، ولا غنى لأحدهما عن الآخر

دلالةُ التَّعبير بحرف الاستعلاء (على):

التَّعبيرُ بأداة الاستعلاء (على) في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ تمثيلٌ للإسناد والتَّفويض إليه سبحانه بالحَمْل عليه؛ لأنَّ الحَمْلَ أبينُ في الرّاحة، وأظهرُ في البُعد من الهَمِّ والمَشقَّة[2]، وفي استعمالِ أداةِ الاستعلاء إيماءٌ إلى أنَّ المتوكِّلَ على اللّٰه متمكِّنٌ مستقرٌّ مطمئِنٌّ واثقٌ باللّٰه، ومتجاوِزٌ لكلِّ قَلَقٍ ومخاوفٍ.

التَّـوكُّـل إسنادُ الأمـرِ وتفويضُه إلـيـه سبحانه بالحَمْلِ عليه

سرُّ اختيار الرُّبوبيَّة ﴿رَبِّهِمۡ﴾ دون اسم الجلالة (الله):

آثرَ البيانُ القرآنيُّ استعمالَ لفظِ الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ تنويعًا في الكلام؛ إذ سبقَ في الآية ذاتِها في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولأنَّ الرُّبوبيَّة تُناسِبُ سياقَ التَّفويضِ والاعتمادِ الكُلّيِّ على اللّٰه، فالتَّوكُّلُ يحتاجُ إلى ثقةٍ بالرِّعاية والتَّدبير، فهُم يتوكَّلون على المُدبِّر المُحسنِ المُربّي لهم، المُنعِم عليهم، الَّذي لم يَرَوا إحسانًا قطُّ إلّا منه وحدَه بما ربّاهم من الإخلاص له، وهذا يتناسب مع ما ذكر في السّياق من النِّعَم.

الرُّبوبيَّةُ تُناسِبُ سياقَ التَّفويضِ والاعتمادِ الكلّيِّ على الله

غرضُ الإضافة في: ﴿رَبِّهِمۡ﴾:

أفادَ التَّعريفُ بالإضافة في ﴿رَبِّهِمۡ﴾ تشريفَ المضافِ إليه، وهم المتوكِّلون، وتعظيمَ توكُّلهم؛ لأنَّهم يتوكَّلون على خالقهم، وهم

تـشـريـفُ المُتـوكِّـلين على ربِّهم، وتعظيم توكُّلهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 109.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 328.

يعلمون أنَّه مالكهم وراعيهم وحافظهم؛ إذ لم يَرَوا إحسانًا قطُّ إلّا منه وحده، وهذا أدعى لأن يصلَ التَّوكُّلُ عندهم إلى أرفعِ درجاته، وأخلصِ حالاته[1].

الغرضُ من تقديم وصفِ الإيمان على التَّوكُّل في الآية:

التَّـوكُّـل الحـقُّ على الله لا يكون إلّا مـن المـؤمـن الحقِّ بالله

في تقديم الإيمان على التَّوكُّل في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لفتةٌ مهمَّةٌ، وهي أنَّ صِدقَ التَّوكُّلِ يَظهَرُ؛ إذا كان الإنسان مؤمنًا بالله، فالتَّوكُّل من غير إيمانٍ يكون قبلَه لا ينجع؛ إذ الإيمانُ يتحقَّق أوَّلًا، ثمَّ يأتي بعدَه التَّوكُّل، الَّذي يكون نتيجةً وثمرةً للإيمان.

دلالةُ التَّعبير بالفعل المضارع في: ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾:

الـتَّـوكُّـلُ من المؤمنين يتجدَّدُ؛ كلَّما تجدَّد أمرٌ مهمٌّ

عبَّر بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ رغم أنَّه معطوفٌ على الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾؛ لأنَّ التَّوكُّل يأتي بعد الإيمان؛ فالإيمانُ يتحقَّق أوَّلًا ثمَّ يأتي بعدَه التَّوكُّل الَّذي يقتضي الرُّجوعَ إلى الله واللُّجوءَ إليه في كلِّ أمر، وحياةُ الإنسان في تقلُّبٍ، وأمورُهُ في تجدُّدٍ؛ لذلك ناسبَ أن يُصاغَ التَّوكُّلُ على الله على صيغة المضارعة؛ لِما لها من دلالة التَّجدُّد والحدوث[2].

الغرضُ من تقديم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ على الفعل ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾:

إفـــــرادُ الـلـــهِ بالتَّوجُّه إليه في كلِّ ما تعجزُ عنه قدرةُ العبد

تقديمُ الجارِّ والمجرور على الفعل في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ لإفادة الحَصْر، الَّذي يدلُّ على توحيدهم لله، فهُم لا يعتمدون إلّا على ربِّهم وحده، لا على غيرِه أصلًا[3].

توجيهُ المتشابه اللَّفظيّ:

مـراعـاةُ السّـياقِ لحال المُخاطَبين بلاغةٌ قرآنيّة

الاختلافُ بين قوله تعالى هنا: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وبين قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ

(1) صلاح حبيب سليمان، من أسرار التّعريف والتّنكير في سورة الشّورى، ص: 286.
(2) صلاح حبيب سليمان، من أسرار التّعريف والتّنكير في سورة الشّورى، ص: 289.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 34.

﴿ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص: 60]، أنَّه في آية الشّورى عطفَ بالفاء ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾، ولم يذكرِ الزّينة، وإنَّما اكتفى بذِكرِ المتاع، وختمها بقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، بينما في آيةِ القصص عطفَ بالواو ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ [القصص: 60]، وذَكَر فيها الزّينةَ إضافةً إلى المتاع، وختمها بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص: 60]، وتوجيهُ ذلك: أنَّ الكلامَ في آية الشّورى متعلِّقٌ بما قبلَه أشدَّ تعلُّقٍ؛ لأنَّه عقَّبَ ما لهم من المخافة بما لهم من الأمَنة، فناسبَ مجيءُ الفاءِ المقتضية للتَّعقيب[1]، بينما الكلامُ في آية القصص لم يتعلَّق بما قبلَه كبيرَ تعلُّقٍ، فناسبَ مجيءُ الواوِ المُقتضية لمُطلَق الجمعِ، وأمّا ذِكْرُ الزّينة في آيةِ القصص؛ فلأنَّ السّياق في الكفّار، وهم المُغترّون بالدُّنيا وزينتِها من مساكنَ وأموالٍ وخَدم، وقد جاءت بعد قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ [القصص: 59]، فخاطبَ الَّذين أوعدَهم بمثل ما أهلكَ به من قبلهم، وأنَّه ليس لهم فيما أوتوه في الدُّنيا عِوضٌ مّما يفوتُهم في الأخرى، فجميعُ أغراضِ الدُّنيا مستوعَبةٌ بهَذَين اللَّفظين، ومن ثَمَّ ناسبَ ختمُها بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص: 60]، وأمّا آية الشّورى؛ فقد تقدَّمتها آياتُ نعمةٍ على عباده، في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾، إنْ شاء؛ أنجى أهلَها، وإنْ شاء؛ أهلكَهم بذنوبهم، والمؤمنون بالآخرة لا يغترّون بزينةِ الدُّنيا؛ فناسبَ عدمُ ذِكْرِ الزّينة؛ ولأنَّه ليسَ القَصْدُ في هذا المكان استيعابَ جميعِ ما يُؤتَون في دنياهم، بل هو مطلوبهم في تلك الحال من النَّجاة والأمن في الحياة، فلم يحتجْ إلى ذكرِ الزّينة، ومِن ثَمَّ ناسبَ ختمُها بقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

المتاع والنَّعيم:

المَتاعُ ما ينتَفعُ بِهِ انتفاعًا قَليلًا غيرَ باقٍ، بل يَنقَضِي عَن قريب[3]، فالمتاعُ عامٌّ في كلِّ ما يُتمتَّع به؛ إذ أصلُه يدلُّ عَلى مَنفعَةٍ وامتِدادِ مُدَّةٍ فِي خَيرٍ[4]، وكُلُّ شَيءٍ يُنتَفَعُ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 21/ 246.
(2) الخطيب الإسكافيّ، درّة التّنزيل وغُرّة التّأويل، ص: 987، و988، وابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص: 286.
(3) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 804.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (متع)، والعسكريّ، الوجوه والنظائر، ص: 454.

به، ويُتَبَلَّغُ به، ويُتَزَوَّدُ، والفَناءُ يأتي عَليهِ في الدُّنْيا فهو متاع[1]، وأمّا النَّعيمُ؛ فهو أخصُّ من المتاع؛ إذ أَصلُه يَدُلُّ على تَرَفُّهٍ وطِيبِ عَيْشٍ وصَلاحٍ[2]، وهو نقيضُ البُؤس، فالنَّعيمُ حُسْنُ الحالِ وراحةُ البال، وما يُتَلَذَّذُ به في الدُّنيا من الصَّحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، ونَعِيمُ اللّهِ تعالى: عَطِيَّتُه الكَثِيرَةُ الوافِرَة[3]، إذًا: فأخصُّ ما يُميِّزُ المتاعَ هو الانتفاعُ به مدَّةً مع سُرعةِ زوالِه، ولهذا أُضيفَ غالبًا إلى الدُّنيا، بينما أخصُّ ما يُميِّزُ النَّعيمَ هو طيبُ العيشِ وامتدادُه، ولهذا ذُكِرَ غالبًا مع الآخرة، ومن هنا ناسبَ التَّعبيرُ بالمتاع مضافًا إلى الدُّنيا الزّائلة؛ ليُنبِّهَ على سُرعةِ زوال كلِّ ما يَستمتعُ به الإنسانُ في الدُّنيا، فمهما طالتْ لذَّتُه، فإنَّه فانٍ وزائلٌ، وما عند اللّه خيرٌ وأبقى.

كلُّ ما يُستمتَعُ، ويُتلذَّذُ به في الدُّنيا فانٍ؛ مهما طالتْ مُدَّته

البقاءُ والدَّوام والخُلود:

البقاءُ هو عدمُ الفناء، ودوامُ الشَّيءِ وثباتُه على حالِه الأولى، فالباقي هو الَّذي لا يفنى، وما يقابله يأتي عليه الفناء[4].

بينما الدَّوامُ سكونُ الشَّيء وامتدادُ الزَّمان عليه، فالدَّوامُ على الشَّيءِ عَدَمُ الانقطاع عنه[5].

وأمّا الخلودُ؛ فهو المُلازمةُ على حالةٍ ثابتةٍ من غير طُروء التَّغيير، وهو تبرِّي الشَّيءِ من اعتراضِ الفساد[6].

وإن كانت هذه الألفاظ الثَّلاثة متقاربةً جدًّا إلّا أنَّ البيانَ الإلهيَّ

عدمُ فناءِ نعيمِ الآخرة وأبديَّته تزهيدٌ بمتاعِ الدُّنيا الزّائل والفاني

(1) ابن منظور، لسان العرب: (متع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نعم).
(3) الرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس، وأحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (نعم).
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (بقي).
(5) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (دوم).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلد).

آثرَ استخدامَ لفظِ البقاء هنا؛ لأنَّه أنسبُ للسّياق الَّذي ذُكِرَ فيه متاعُ الحياة الدُّنيا الزّائل والفاني، وأنَّ ما عند اللّهِ دائمٌ أبديٌّ سرمديٌّ لا يفنى، ولا يزول، وفيه تعظيمٌ لِما عند الله من نعيمِ الآخرة الأبديِّ، وحثٌّ على طلبه والرَّغبة فيه، والزُّهد في متاعِ الحياة الدُّنيا الزّائل، وعدم التَّعلُّق به.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"